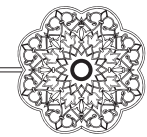

في المدرسة

تكتسب المدرسة (منذ مرحلة الروضة وحتى نهاية الحياة المدرسية) دوراً كبيراً في نشأة الطفل؛ إذ إنَّ الطفل يقضي فيها معظم وقته مع أساتذته وأصدقائه، سواء كان هؤلاء الأصدقاء صالحين أو غير ذلك، ولهذا فإن من الضرورة بمكانٍ كبيرٍ أن يكون أصدقاء الطفل صادقين وصالحين؛ لما لهم من تأثير كبير عليه، هذا طبعاً إلى جانب تأثير الوالدين وبيئة المنزل.

في معظم الأحيان يختلط الطفل في المدرسة مع العديد من الأطفال القادمين من مستويات مختلفة مادياً وثقافياً واجتماعياً، وفي بعض المدارس يختلط بأطفالٍ قادمين من جنسيات مختلفة، وهذا يزيد التباعد بينه وبينهم وخاصة في ما يتعلق بالثقافات والتقاليد.

قد يبدو هذا الأمر سيئاً للوهلة الأولى، لكنه في الواقع

(إذا أُحسنَ استخدامه) أمرٌ جيدٌ وميزة إضافية مهمة؛ لأنه يساعد على اكتساب المزيد من المعرفة، ويوسع ذهن الطفل وفكره، ويطلقه من الإطار المحلي المغلق إلى الإطار الأوسع والأكثر انفتاحاً، ولهذا الأمر دور كبير في تطوير شخصية الطفل. وتسمح الرحلات الميدانية والمشاريع التفاعلية التي تنظمها المدرسة بتجربة أشياء جديدة قد لا تتاح للطفل في الحياة اليومية العادية التي يحياها في إطار أسرته وأقاربه وجيرانه، ولهذا فإن من المستحسن أن يرحب الأهل بهذه الرحلات والنشاطات، وأن يشجعوا أطفالهم على المشاركة فيها، وأن يراقبوا نتائجها مراقبة لطيفة وغير مباشرة، فيصححوا ما فيها من أخطاء (إن وجدت)، ويستثمروا ما فيها من مزايا (وستكون موجودة بالتأكيد في معظم الأحيان).

عند دخول الطفل إلى المدرسة يبدأ تفاعله مع الآخرين على مستويين: المستوى الشاقولي، أي: العلاقة والتعامل بينه وبين الأساتذة والمديرين والموجهين، حيث يعتبر الطفل في الدرجة الأدنى والأساتذة والمديرون في الدرجة الأعلى. وعلى المستوى الأفقي، أي: العلاقة والتعامل مع الزملاء

والأصدقاء؛ إذ العلاقة بينهم متكافئة وليس فيها درجاتٌ أعلى أو أدنى من حيث المبدأ، بصرف النظر عن الفوارق التي تنشأ بينهم فيما بعد عندما ينقسمون إلى مجتهدين وكسالى وناشطين وخاملين وما إلى ذلك من تقسيمات شخصية تفرضها البيئة التعليمية ونواتجها.

لشخصية المديرين والمعلمين وكيفية تعاملهم مع الأطفال أثر بالغٌ في حياة الأطفال ومستقبلهم، فالطفل يرى المعلم مثاله الأعلى وقدوته الحسنة، وينظر إليه باهتمام واحترام، وهو ينفعل به ويتفاعل معه ويتأثر بشخصيته، فكلمات المعلم وثقافته وسلوكه ومظهره ومعاملته للتلاميذ، بل حركاته وسكناته جميعها تترك أثرها على نفسية الطفل.

تأتي بعد ذلك مسألة التفوق الدراسي:

من حيث المبدأ، هناك فرقٌ بين التفوق الدراسي والتفوق الاجتماعي، ويمكن للطفل أن يتفوق اجتماعياً مع أنه خاملٌ دراسياً، كما يمكن له أن يكون عكس ذلك، أي: يمكن أن يكون متفوقاً دراسياً وخاملاً اجتماعياً، لكن الحالة السليمة والمثلى تقول: يجب أن يكون الطفل متفوقاً في الحالتين معاً،

ولذلك فإن دور المدرسة هنا هو مساعدة الطفل على التفاعل إيجابياً مع زملائه من جهة، وعلى التفاعل مع أساتذته ودروسه من جهة أخرى.

يجدر هنا التذكير بالدور المهم الذي يلعبه البيت والأسرة في دعم وتسهيل الوصول إلى هذين التفوقين، فللأسرة والمدرسة دوران متكاملان يصعب فصل أحدهما عن الآخر.